



نظام ديوان المظالم في الإسلام

مصطفى عبد الحميد دلاف

جامعة عمر المختار - البيضاء

Doi: <https://doi.org/10.54172/nykvct53>

المستخلص : ولاية المظالم تعد سلطة قضائية أعلى من سلطة القاضي العادي، حيث تنظر في النزاعات التي لا ينظرها القاضي، وتتولى معالجة شكاوى الناس من الظلم. يشمل دورها الوظيفة الممزوجة بين سطوة السلطة وعدالة القضاء، وتُدخل صاحب المظالم في إجراءات قضائية تحت مسمى "متولي المظالم". تقسم الدراسة حول ديوان المظالم إلى أربعة مباحث، حيث يتم التطرق في المبحث الأول لتعريف ونشأة ديوان المظالم، وفي المبحث الثاني يتم استعراض تشكيله واختصاصاته، وفي المبحث الثالث يتم التركيز على الاختلافات بين نظر المظالم ونظر القضاء العادي، وأخيرًا يُستعرض المبحث الرابع نماذج للأحكام الصادرة عن ديوان المظالم ومدى استفادة المتهم من ضمانات المحاكمة أمامه.

الكلمات المفتاحية: ولاية المظالم، صاحب المظالم، القضاء العادي، الشكاوى، الحكم القضائي

System of Diwan Al-Mazalim in Islam

Mustafa Abdelhamid Dallaf

Omar Al-Mukhtar University - Albayda

Abstract: The Diwan al-Mazalim is considered a judicial authority higher than that of the ordinary judge, as it addresses disputes that the regular judiciary does not handle and deals with people's complaints of injustice. Its role encompasses a blend of authority and judicial justice, with the complainant entering into judicial proceedings under the title of "Diwan al-Mazalim plaintiff." The study is divided into four sections regarding Diwan al-Mazalim, where the first section defines its origin and formation, the second section reviews its composition and jurisdiction, the third section focuses on the differences between the views of Diwan al-Mazalim and those of the regular judiciary, and finally, the fourth section presents examples of judgments issued by Diwan al-Mazalim and the extent to which the accused benefits from trial guarantees before it.

Keywords: judiciary, aggrieved party, regular judiciary, complaints, judicial rulings.

تمهيد :

تعد ولاية المظالم سلطة قضائية أعلى من سلطة القاضي فمحكمة المظالم تنظر من المنازعات ما لا ينظره القاضي بل هي تنظر ظلامة الناس منه فهي وظيفة ممتزجة بين سطوة سلطة وعدالة القضاء ونصفته وهي بحسب الأصل تدخل في القضاء ويسمى متوليها صاحب المظالم ونظراً لأن ولاية المظالم لها شبه بالقضاء فقد رأينا أن نعرض لها لنرى مدى تمتع المتقاضى أمامها بالضمانات التي يتمتع بها أمام القاضي العادي وحقوقه أمامها.

تقسيم :

نتناول ديوان المظالم في أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف ونشأة ديوان المظالم.

المبحث الثاني: تشكيل واختصاصات ديوان المظالم.

المبحث الثالث: اختلاف نظر المظالم عن نظر القضاء.

المبحث الرابع: نماذج للأحكام التي يصدرها ديوان المظالم ومدى تمتع المتهم أمامها بضمانات المحاكمة .

المبحث الأول

تعريف ونشأة ديوان المظالم

تقسيم :

نتناول في فرعين متتالين تعريف ولاية المظالم وأصل مشروعيتها في القرآن الكريم والسنة

النبوية في فرع أول ونتناول في الفرع الثاني نشأة ديوان المظالم على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف ولاية المظالم وأصلها في القرآن والسنة النبوية المشرفة.

المطلب الثاني: نشأة ديوان المظالم.

المطلب الأول

تعريف ولاية المظالم وأصلها في القرآن والسنة

تعريف ولاية المظالم:-

تعرف ولاية المظالم في اصطلاح الفقهاء بأن (نظر المظالم هو قود المتظلمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة)⁽¹⁾ وقيل أن ولاية المظالم هي: (وظيفة ممتزجة من سطوة السلطة ونصفه القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي).⁽²⁾

ويذهب رأي في الفقه المعاصر إلى تعريف ولاية المظالم بأنها (كولاية القضاء وكولاية الحسبة وكولاية الحرب جزء مما يتولاه ولي الأمر الأعظم ويقوم فيه نائب عنه ممن يكون فيه الكفاية وألهمه الأداء ويسمى المتولي لأمر المظالم ناظراً ولا يسمى قاضياً خالصاً وإن كان له مثل سلطان القضاء ومثل إجراءاته في كثير من الأحوال ولكن عمله ليس قضائياً خالصاً بل هو قضائي وتنفيذي فقد يعالج الأمور الواضحة بالتنفيذ أو بالصلح أو بالعمل الخيري فيرد لصاحب الحق حقه فهو قضاء أحياناً وتنفيذي إداري أحياناً).⁽³⁾

ويذهب الدكتور محمد سلام مذكور في تعريفه لولاية المظالم إلى إنها:

- المستشار الدكتور - محمد محمد شتا أبو سعد - مختصر كتاب الحكام السلطانية للماوردي - دار النهضة العربية 1993 - ص 52. ¹
- مقدمة ابن خلدون ص 246- مشار إليه في كتاب النظام القضائي الإسلامي للدكتور أحمد محمد مليجي - مكتبة وهبة - القاهرة - بدون تاريخ نشر - ص 68. ²
- ولاية المظالم في الإسلام - بحث للشيخ محمد أبو زهرة - مقدم إلى الحلقة الدراسية الأولى للقانون والعلوم السياسية والتي عقدت بإشراف المجلس الأعلى لرعاية والفنون والآداب بالقاهرة من 23 : 27 أكتوبر 1960 . وكذلك د. محمد أنس قاسم جعفر - ولاية المظالم في الإسلام وتطبيقها في المملكة العربية السعودية - دار النهضة العربية - القاهرة - بدون سنة نشر - ص 9. ³

(سلطة قضائية أعلى من سلطة القاضي والمحتسب فهي تنظر من المنازعات ما لا ينظره القاضي بل هي تنظر ظلامة الناس منه فهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطة ونصفه القضاء)⁽⁴⁾، فقد يعجز القاضي عن رد الحق لمستحقه إما لعدم مثل المدعي عليه أمامه وإما لعدم تنفيذ ما حكم به نظراً لقوة المدعي عليه أو لمكانته الاجتماعية أو وظيفته وقد يتعذر على القاضي أن يدفع ظلماً وقع مظلوم نظراً للسلطان الظالم وقد يصعب على المظلوم أن يرفع صوته بشكواه خوفاً من جبروت ظلمه لذلك أنشئت وظيفة ناظر المظالم يتولاها ولي أمر المسلمين بنفسه أو من ينيبه عنه ممن يكون مهاب القوة نافذ الأمر حتى ينتظر في هذه الأمور متى علم بها ولو لم يرفعها إليه المظلوم رداً للحق إلى صاحبه وأخذاً على يد المعتدين على الحق لقوتهم واعتماد على سلطاتهم ووجاهتهم⁽⁵⁾.

دليل مشروعية ديوان المظالم في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة:

تعد ولاية المظالم مشروعة ونعرض لأصل مشروعيتها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على النحو التالي :

1- في القرآن الكريم

تجد ولاية المظالم مشروعيتها في كتاب الله العزيز في نفس الآيات الكريمة التي دلت على مشروعية القضاء فيقول المولى عز وجل: (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)⁽⁶⁾ وقوله جل شأنه (وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)⁽⁷⁾ وقوله عز وجل (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)⁽⁸⁾.

4 - د. محمد سلام مذكور - المدخل للفقهاء الإسلاميين - دار النهضة العربية ص 404 .

5 - د. حامد محمد أبو طالب - التنظيم القضائي الإسلامي - الطبعة الأولى - بدون دار ومكان نشر - 1982 - ص 17.

6 - سورة المائدة - الآية رقم 48 .

7 - سورة ص - الآية رقم 26 .

8 - سورة النساء - الآية رقم 65 .

جميع هذه الآيات تدل دلالة قاطعة على مشروعية الحكم بين المتخاصمين بالعدل والفصل في الخصومات ورفع الظلم عن المظلوم وإعادة الحقوق لأصحابها مما يدل على أن ولاية المظالم لها مشروعيتها في كتاب الله العزيز.

2- في السنة النبوية الشريفة :-

ويدل على مشروعية ولاية المظالم في السنة النبوية الشريفة ما روى عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال : (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقالوا : يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ، قال : تأخذ فوق يديه)⁽⁹⁾، وكذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (هل تدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سألوه بذلوه وإذا حكموا للمسلمين حكمهم لأنفسهم)⁽¹⁰⁾.

ومما يدل على مشروعية ولاية المظالم أيضاً أن الرسول ﷺ تولى المظالم بنفسه ولم ينتدب للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين لأن الناس كان يقودهم التتاصف إلى الحق ويزجرهم الوعظ عن الظلم وما يجري بينهم من منازعات كان في أمور مشتبه يوضحها حكم القضاء⁽¹¹⁾.

9 - انظر صحيح البخاري - مطبعة المعاهد بمصر 1352 هـ - ج2 ص 45 .

10 - د. محمد سلام مذكور - القضاء في الإسلام - دار النهضة العربية - القاهرة - 1964م - ص 12 .

11 - د. محمد سلام مذكور - نفس المرجع السابق - ص 145 . وكذلك د. محمد أنس قاسم جعفر - المرجع السابق - ص 17 .

المطلب الثاني

نشأة ديوان المظالم

عرفت ولاية المظالم قبل الإسلام عند عرب الجاهلية فقد عقدت قريش حلفاً على رد المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وكان سببه أن رجلاً من بني زبيد قدم إلى مكة معتمراً فاشتره رجل من بني سهم قيل أنه العاص بن وائل فلوى الرجل بحقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه وماطله في الدفع فلما نفذ صبر الرجل جاهز بظلامته حول الكعبة بين رجال قريش فقام أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب عم الرسول ρ فرداً عليه ماله.

واجتمعت بطون قريش فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة وأن لا يظلم أحداً إلا منعه وأخذوا للمظلوم حقه وكان رسول الله ρ يومئذ معهم قبل النبوة وهو ابن خمس وعشرين سنة فعقدوا حلف الفضول في دار عبدالله بن جدعان لرد المظالم بمكة⁽¹²⁾ ، فقال الرسول ρ ذاكراً للحال :- (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبت وما أحب أن لي به حمر النعم).⁽¹³⁾

وقد وجدت ولاية المظالم في عهد الرسول ρ وكان متوليها يسمى أحياناً صاحب المظالم وقد يتولاها موظف واحد أو أكثر من موظف واختلف اسم متوليها باختلاف الزمان والمكان وقد باشرها أيام النبي ρ الأمير أو الوالي في بعض الأمصار الإسلامية.

ونظر النبي ρ المظالم في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام رضي الله عنه ورجل من الأنصار فحضره الرسول ρ بنفسه فقد روى أبوداود (أن رجلاً خاصم الزبير في شراح الحره التي يسقون بها فقال الأنصاري شرح (أي أرسل) الماء يمر فأبى عليه الزبير فقال النبي ρ للزبير :

- د. محمود عطية مشرفة - النظام القضائي في الإسلام - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة - 1939 ص 171. 12

- المستشار الدكتور محمد شتا أبو سعد - مختصر كتاب الأحكام السلطانية للماوردي - المرجع السابق - ص 68. 13

إسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك . قال أبو داود : فغضب الأنصاري فقال : يا رسول الله إن كان ابن عمك فتلون وجه الرسول ρ ثم قال : إسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الحد⁽¹⁴⁾.

ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الراشدين إلا في القليل النادر لأن الناس كانوا إذا اشتبه عليهم أمر وضحو لهم حكم القضاء فإن تجور منهم متجور ثناه الوعظ.

وقد نظر علي رضي الله عنه في المظالم وقضى في ولد تنازعت امرأتان بما أدى إلى فصل القضاء⁽¹⁵⁾. ولم يفرد على كرم الله وجهه يوماً معيناً لسماع المظالم فكان ينظر في شكايه من يأتيه من المتظالمين ويعمل على إنصافه .

فولاية المظالم نشأت لمجابهة فساد الناس فكان كل حكم يعجز عنه القاضي ينظر فيه من هو أقوى منه سلطاناً فكان الغرض الأساسي من إنشاء ديوان المظالم هو وقف تعدي ذوي الجاه والحسب على من هم دونهم ويتولى هذه الوظيفة قاضي المظالم⁽¹⁶⁾.

- د. محمود عطية مشرفة - المرجع السابق - ص 172. 14

- أبو الحسن الماوردي - الأحكام السلطانية والولايات الدينية - طبعة 1386هـ / 1966م - ص 64. 15

- د. محمود عطية مشرفة - المرجع السابق - ص 173. 16

المبحث الثاني

تشكيل واختصاصات ديوان المظالم

تقسيم:-

نتناول في مطلبين متتالين تشكيل ديوان المظالم ومكان انعقاده واختصاصات ديوان المظالم فتخصص المطلب الأول للحديث عن تشكيل ديوان المظالم ومكان انعقاده ونخصص المطلب الثاني للحديث عن اختصاصات ديوان المظالم وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: تشكيل ديوان المظالم ومكان انعقاده.

المطلب الثاني: اختصاصات ديوان المظالم.

المطلب الأول

تشكيل ديوان المظالم ومكان انعقاده

كانت محكمة المظالم تتعقد في المسجد وتتألف من خمس جماعات لا يستغني عنهم ولا ينتظم نظره إلا بهم⁽¹⁷⁾ وهذه الجماعات هي:

الجماعة الأولى: الحماة والأعوان:

وتتحصر مهمة جماعة الحماة والأعوان في التغلب على كل من تحدثه نفسه في الالتحاء إلى القوة أو العنف أو القرار أثناء انعقاد ديوان المظالم.

الجماعة الثانية: الحكام:

ويعملون على رد الحقوق إلى أصحابها وذلك بعد الإحاطة بما يجري بين الخصوم من أنزعة وما يصدر بشأنها من أحكام.

الجماعة الثالثة: الفقهاء:

ويرجع إليهم عندما يشكل على صاحب المظالم مسألة من المسائل الشرعية.

الجماعة الرابعة: الكتاب:

وينحصر دور جماعة الكتاب في تدوين ما يحصل أثناء الجلسة من أقوال الخصوم.

- د. محمود عطية مشرفة - المرجع السابق ص 175. 17

الجماعة الخامسة: الشهود:

وهم الذين يشهدون بأن ما أصدره القاضي من الأحكام لا ينافي الحق والعدل⁽¹⁸⁾، وإنه يتفق وأحكام الشريعة الغراء ومهمة جماعة الشهود إثبات كل ما لديهم من معلومات عن أطراف الخصومة المعروضة على ديوان المظالم وكان يتم اختيار هؤلاء ممن اشتهروا بالسمعة الطيبة ويمتازون عن غيرهم في أمور الفقه⁽¹⁹⁾.

- الأحكام السلطانية للماوردي - المرجع السابق - ص 67. 18

- د. محمود عطية مشرفة - المرجع السابق - ص 176. 19

المطلب الثاني

اختصاصات ديوان المظالم

تمهيد:-

تنقسم اختصاصات ديوان المظالم بحسب الأعمال المسندة لناظر المظالم وسلطاته إلى نوعين من الأعمال فمن هذه الأعمال ما يتصدى له والي المظالم من تلقاء نفسه دون أن ترفع إليه من متظلم ومنها ما يستلزم أن ترفع إليه من متظلم.

ونتناول هذين النوعين من الأعمال على النحو التالي:

أولاً : الأعمال التي يتصدى لها بها والي المظالم من تلقاء نفسه:

1- ينظر والي المظالم في تعدي الولاية على الرعية وأخذهم بالعنف فعلى والي المظالم أن يتصفح أحوال الولاية ليقويهم إن أنصفوا ويكفيهم إن فسقوا ويستبدل بهم غيرهم إن لم ينصفوا⁽²⁰⁾.

2- ينظر في جور الجباة فيما يجبونه من الأموال فإن كان ما استزادوه رفعوه إلى بيت المال أمر برده وإن أخذوه لأنفسهم استرده لأربابه ونظر في أمرهم فقد حاسب الرسول ρ عماله حساباً عسيراً وتوعد من يتعدى على حقوق المسلمين بالخزي يوم القيامة فقد روي عنه ρ أنه (استعمل رجلاً يقال له ابن اللبتيه على صدقات بني فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدى إلى فقام النبي ρ فصعد الرسول ρ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلى أفلا قعد في بيت أبيه وبيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة وإن كان بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبحر ثم رفع يديه حتى رأى بياض أبطيه فقال: اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت؟⁽²¹⁾.

- د. أحمد محمد مليجي - المرجع السابق ص 70.20

- انظر صحيح البخاري- طبعة المطبعة البهية بمصر 1356 هـ - ص 218.21

3- وينظر والي المظالم في مهام كتاب الدواوين فيتصفح أعمالهم لأنهم أمناء على بيوت أموال المسلمين فيما يستوفونه ويوفونه منها فإن عدلوا عن حق في دخل أو خرج إلى زيادة أو نقصان أعادوه إلى قوانينه وحاسبهم على ذلك وحقق فيه وعمل هؤلاء الكتاب عمل دقيق إذ بيدهم ضبط أموال الدولة وأي خطأ منهم يؤدي إلى ضياع حقوق المسلمين وأموالهم ولذا كان من أعمال والي المظالم متابعتهم فقد حرص كثير من الخلفاء على تقصي سير الكتاب ومراقبة أعمالهم⁽²²⁾.

4- ينظر والي المظالم في الأوقاف ذات المصارف العامة مثل الأوقاف على المساجد والفقراء وغيرها.

5- ينظر والي المظالم أيضا في رد الغصب السلطانية أي ما يغتصبه ولاية الجور وذوي النفوذ والبطش بغير حق إما بضمها للدولة ظلماً أو أن يأخذ هؤلاء الولاية هذه الغصب لأنفسهم وناظر المظالم يحكم برد الغصب إلى ذويها متى علم بها من تلقاء نفسه ودون حاجة إلى متظلم .

6- كما يقوم والي المظالم بمراعاة العبادات الظاهرة كالجمعة والأعياد والحج والجهاد فينظرها خوفاً من التقصير فيها أو الإخلال بشروطها إذ حقوق الله تعالى أولى أن تستوفى⁽²³⁾ ولا بد أن تؤدي فروضه عز وذل وينظر إلى المظالم من تلقاء نفسه .

7- كذلك فإن من أعمال ناظر المظالم النظر فيما عجز عنه ولاية الحسبة ومعاونتهم في إنفاذ اختصاصاتهم إن لم يتمكنوا من ذلك كالمجاهرة بمنكر عجزوا عن دفعه والتعدي في طريق عجزوا عن منعه والتحيف في حق لم يقدروا على رده فيأخذ والي المظالم المعتدين بحق الله تعالى في جميعه ويأمر بحملهم على موجهه⁽²⁴⁾.

ثانياً : الأعمال المسندة لوالي المظالم والتي يستلزم لنظرها أن يرفعها المتظلم إليه :

- د. احمد محمد مليجي - المرجع السابق ص 72 . 22

- د. محمد سلام منكور - القضاء في الإسلام - المرجع السابق ص 142 . 23

- الأحكام السلطانية للمواردي - المرجع السابق - ص 77 . 24

1- ينظر والي المظالم بين المتشاجرين ويحكم بين المتنازعين ولا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه ولا يسوغ أن يحكم بينهم إلا بما يحكم به الحكام والقضاة وينبغي أن يرفع النزاع لوالي المظالم من أحد المتنازعين حتى يفصل في نزاعهم⁽²⁵⁾.

2- ينظر والي المظالم في تظلم (المسترزقة) في نقص أرزاقهم أو تأخيرها عنهم فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل فيحر به عليهم وينظر فيما أنقصوه أو منعه من قبل فإن أخذه ولاية أمورهم استرجعه منهم وإن لم يأخذه ولاية أمورهم قضاه من بيت مال المسلمين ويلزم رفع التظلم إلى والي المظالم حتى ينظر في ذلك التظلم المرفوع إليه من (المسترزقة)⁽²⁶⁾.

3- ومن أعمال إلى المظالم أيضاً تنفيذ الأحكام التي يعجز القضاء عن تنفيذها إذ أن ناظر المظالم أقوى يداً وأنفذ أمراً بما يملكه من سطوة الحماة فينفذ الحكم على من قضى عليه فوالى المظالم لكم يكبح جماح ذوي الجاه والسلطان عند امتناعهم عن تنفيذ أحكام القضاء بالزامهم بهذه الأحكام.

4- ينظر والي المظالم في غصوب الأقوياء من الأفراد أي الأموال التي يغتصبها وجهاء الدولة من الضعفاء ولا ينتزع والي المظالم هذه الغصوب من الغاصب إلا بواحد من أمور أربعة : وهي إما اعتراف الغاصب بغصبه أو تشهد للمغصوب منه بملكه وإما بتظاهر الأخبار التي ينتقي عنها التواطؤ ولا تختلج فيها الشكوك وبهذا يقوم إلى المظالم برد الغصوب بنوعها سواء غصوب الولاية أو الأفراد بعضهم لبعض بيد أن غصوب الأفراد بعضهم لبعض يستلزم أن يرفع به تظلم لوالي المظالم لكي يباشر اختصاصه برده إلى المغصوب منه⁽²⁷⁾.

5- وينظر والي المظالم أيضاً في المنازعات المتعلقة بالأوقاف الخاصة أي التي تكون على مستحقين معروفين وهؤلاء لا يملك التصدي لهم إلا بتظلم يرفع إليه وبذا يختلف نظر والي المظالم في الأوقاف الخاصة عن نظره في الأوقاف ذات المصارف العامة من ناحية الإثبات وعلّة إسناد

- الأحكام السلطانية للماوردي - المرجع السابق - ص 77. 25

- د. حامد محمد أبو طالب - المرجع السابق - ص 21. 26

- أحمد مليجي - المرجع السابق - ص 76. 27

هذا النوع من المنازعات والي المظالم هو ما يغلب على مستحقيها من ضعف أمام سطوة نظار الوقف.

تلك هي الأعمال التي تسند لوالي المظالم بنوعيتها ويتضح من استعراضها أن نطاق ولاية المظالم أكثر اتساعاً من النطاق الموضوعي لولاية القضاء فوالي المظالم أكثر مجالاً من القاضي فله كما ذكرنا النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين أي أن له القيام بالعمل الأصيل للقضاة وهو الفصل في الخصومات كما أن له أن ينظر في الأعمال ذات الطبيعة الولائية فله كما سلف البيان النظر في الأوقاف بأنواعها والتنفيذ وهذه من الأعمال التي ينظرها القضاء أيضاً ومن ذلك يتضح لنا اتساع نطاق ولاية المظالم عن النطاق الموضوعي لولاية القضاء⁽²⁸⁾.

- الأحكام السلطانية للماوري- المرجع السابق - ص 79. 28

المبحث الثالث

اختلاف نظر المظالم عن نظر القضاء

يختلف نظر المظالم عن نظر القضاء من عشرة أوجه تختلف بحسب طبيعة كل منهما والسلطات الممنوحة لوالي المظالم وتلك الممنوحة للقضاة وتحمل الفروق بين نظر المظالم ونظر القضاء في عشرة أوجه (29) وهي :

الأول: أن لناظر المظالم من فضل الهيئة وقوة اليد ما ليس للقضاة في كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب.

الثاني: أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب إلى سعة الجواز فيكون الناظر فيه أفسح مجالاً وأوسع مقالاً .

الثالث: يمتد عمل ناظر المظالم من كشف الأسباب بالإمارات الدالة وشواهد الأحوال ما يضيق به على الحكم فيصل به إلى ظهور الحق ومعرفة الباطل من الحق.

الرابع: يقابل ناظر المظالم من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهديب .

الخامس: لناظر المظالم من التأني في تردد الخصوم عند اشتباه أمورهم واستبهام حقوقهم ليمعن في الكشف عن أسبابهم وأحوالهم ما ليس للحكام إذا سألهم أحد الخصمين فصل الحكم فلا يسوغ أن يؤخره الحاكم ويسوغ أن يؤخره والي المظالم .

السادس: لوالي المظالم رد الخصوم إذا أعضلوا وساطة الأمناء ليفصلوا التنازع بينهم صلحاً عن تراضي وليس للقاضي ذلك إلا عن رضى الخصمين بالرد.

- د. محمد شتا أبو سعد - مختصر كتاب الأحكام السلطانية للمواردي - المرجع السابق - ص 64. 29

السابع: يفسح والي المظالم في ملازمة الخصمين إذا وضحت إمارات التجاحد ويأذن في إلزام الكفالة وما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب.

الثامن: يسمع والي المظالم من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاء شهادة المعدلين.

التاسع: يجوز لوالي المظالم تحليف الشهود عند ارتيابه في شهادتهم إذا بدلوا أيمانهم طوعاً ويستكثر من عددهم ليزول عنهم الشك وينفي عنهم الارتياب وهو الأمر الذي لا يتوافر للحاكم.

العاشر: يجوز لوالي المظالم أن يبتدئ باستدعاء الشهود ويسألهم عن معلوماتهم وتفصيلات شهادتهم في موضوع تنازع الخصوم (30).

يبدو من مهام ناظر المظالم ، ومن تشكيل المحكمة التي يمارس من خلالها مهامه الآتي

:

1. أن ناظر المظالم لا يكون بالضرورة شخصاً من رجال القضاء ذا تكوين شرعي متخصص، ذلك لأنه يستعين بالقضاة والفقهاء، فهو قد يكون الخليفة نفسه، وقد يكون أحد وزرائه (31).
2. أن لناظر المظالم من الحرية في مباشرة مهامه، وفي تسيير الدعوى ما ليس للقضاء العادي، فهو يقبل الإثبات بجميع الوسائل، ويستعمل من وسائل الضغط المشروعة ما يراه مفيداً، ويؤخر الحكم في النزاع، ولو طالب أطرافه بإصدار الحكم إذا رأى أن من المصلحة تأخير الحكم، كما أن له فرض الصلح على المتنازعين، ولو أباه أطراف النزاع (32).

المبحث الرابع

تطبيقات ديوان المظالم

أدرك العرب في الجاهلية أهمية ديوان المظالم فكانت قريش وقد كثر فيها الزعماء وانتشرت بها الرياسات قد عقدوا فيما بينهم حلفاً على رد المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وكان سب ذلك أن رجلاً من اليمن من ذبيدة قدم إلى مكة معتمراً ومعه بضاعة فأشترها منه رجلاً من بني

30 - د. محمد شتا أبو سعد - المرجع السابق - ص 65.

31 - د. عبد الحكيم حسين العيلي - الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام - دار الفكر العربي - 1974 - ص 633.

32 - الأحكام السلطانية للمواردي - المرجع السابق - ص 93.

سهم فلواه بحقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه فقام الحجر وأنشد بصوته مستكراً ومستغيثاً. وكذلك فإن قيس بن شيبه السلمي باع متاعاً من أبي بن خلف فلواه وذهب بحقه فاستجار برجل من بني جمع فلم يجره فقال:

ما بال قصي كيف هذا في الحرم
وحرمة البيت وأخلاق الكرام
أظلم لا يمنع مني من ظلم .

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردا عليه ماله واجتمعت بطون قريش فتحالفوا في بيت عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة وقد حضره الرسول ρ وعمره خمسة وعشرين عاماً⁽³³⁾.

حلف الفضول :

شعرت قريش بعد حرب الفجار⁽³⁴⁾ بأن ما أصابها وأصاب مكة جمعياً بعد موت هاشم وموت عبد المطلب من تفرق الكلمة وحرص كل فريق على أن يكون صاحب الأمر، قد اطمع فيها العرب عندما كانت أمتع من أن يطمع فيها طامع . إذا ذاك دعا الزبير بن عبد المطلب، فاجتمع بني هاشم وزهرة وتيم، في دار عبد الله بن جدعان، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله المنتقم ليكون مع المظلوم حتى يؤدي حقه وقد حضر الرسول ρ هذا الحلف الذي سماه العرب حلف الفضول، وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه "ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار بني جدعان حمر النعم دعيت إليه لأجبت" ⁽³⁵⁾.

- د. محمد سلام منكور - القضاء في الإسلام - المرجع السابق - ص 145. 33

- هي حرب بين قبائل العرب وسميت الفجار لأنها وقعت في الأشهر الحرم إذ تمتع قبائل العرب عن القتال ويعقدون أسواق تجارتهم بعكاظ لتبادل التجارة وللحج بعد ذلك، على أن البراض بن قيس الكناني لم يحترم هذه الحرمه حين غافل عروة الرحال بن عتبة الهوزاني وقتله فقامت الحرب بين هوزان وقريش واستمرت الحرب أربع سنوات ثم انتهت بعدها بالصلح بعد أن دفعت قريش دية 20 رجلاً من هوزان، راجع د. محمد حسين هيكل - حياة محمد - دار المعارف - الطبعة 16 - بدون سنة نشر - ص 132 وما بعدها.

- نفس المرجع السابق - ص 134 وما بعدها. 35

وقد نظر الرسول ﷺ المظالم بنفسه فنظر في الشرب الذي تنازعه الزبير بن العوام ورجل من الأنصار في شراح الحرة - وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل - وقال: اسق يا زبير ثم أرسل جارك⁽³⁶⁾.

وكان الرسول ﷺ ينظر فيما يرتكبه عماله من المخالفات والأخطاء . ادعت، أمام الرسول ﷺ قبيلة جذيمة، من جوار مكة على القائد العسكري خالد بن الوليد ، إنه أعلنت الرضا بالإسلام، وهذه مخالفة للوصية التي كان رسول الله ﷺ يوصي بها "إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال : أيتها أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم

ادعهم إلى الإسلام

فإن أبوا فخذ من الجزية.

فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم".

ادعت جذيمة على خالد أنه لم يلتزم المشروعية فيما قام به من جهاد، ولكن خالد أجاب على الدعوى: بأن رؤساء جذيمة لم يعلنوا الإسلام صراحة، وإنما قالوا صبأنا، صبأنا.

وهنا أدرك الرسول ﷺ أنه كان على خالد أن يستفسر عما قصده ممثلوا جذيمة من كلمة صبأنا فهي لغة لا تعني إلا الخروج من دين لآخر ، فقال عليه الصلاة والسلام (اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد بن الوليد).

ثم بعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب بمال من خزينة الدولة، فأدى ديات القتلى من قبيلة جذيمة، لأن القتل كان خطأ، من مبعوث للدولة. فتحملت الدولة عنه ما لزمه من تعويض.

معنى هذا : أن الرسول عليه السلام، كان يفصل في قضايا المظالم، والقضايا العادية معاً وهكذا استمر الحال على عهد أبي بكر وعمر.

- د. محمد سلام منكور - القضاء في الإسلام - المرجع السابق ص 145 . 36

إلا أن عمر بن الخطاب جعل من موسم الحج مناسبة لمحاسبة وللاقتصاص منهم لأفراد الأمة ولرد المظالم⁽³⁷⁾.

وقد اختصم علي كرم الله وجهه يهودياً في درع كان في حوزة اليهودي إلى القاضي صاحب المظالم فطلب القاضي من علي كرم الله وجهه شاهدين فأتى بابنه الحسن ومولاه قنبر وكان مذهب علي كرم الله وجهه على قبول شهادة الولد وهذا بخلاف مذهب القاضي الذي يرى أن الولد لا يشهد لوالده فلم يأخذ القاضي بشهادة الحسن وقبل شهادة قنبر وحكم لصالح اليهودي الذي قاتل في واقعة صفين متدرباً بتلك الدرع⁽³⁸⁾.

وحكي أن الخليفة المأمون كان يجلس للمظالم في يوم الأحد من كل أسبوع فأتته امرأة في ثياب رثة متظلمة فأخذ لها حقها من خصمها وهو ابنه العباس حيث أمر قاضيه يحيى بن أكثم أن يجلسها معه ونظر بينهما بحضرة المأمون ففعل وفي أثناء نظر الدعوى ارتفع صوتها على صوت العباس فزجرها بعض الحجاب فقال له المأمون :- (دعها فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه) وكانت ظلامتها أن العباس بن الخليفة المأمون اغتصب ضياعها فأمر القاضي بردها إليها وبأمر الخليفة تنفيذ الحكم على ابنه⁽³⁹⁾.

ويشترط في والي المظالم أهلية القضاء ويطبق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء على ما يعرض عليه من منازعات على وجه الالتزام ومن ثم فديوان المظالم يعد من الجهات القضائية التي تضطلع بمهمة القضاء في الإسلام غاية ما هنالك أنه يتميز بسمات خاصة تميزه عن ولاية القضاء⁽⁴⁰⁾.

- محمد الحبيب التجكاني- النظرية العامة للقضاء والإثبات في الشريعة الإسلامية - دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية) بغداد ص 79 وما بعدها. 37

- د. محمود عطية مشرفة- المرجع السابق - ص 174. 38

- نفس المرجع السابق - ص 174. 39

- د. صلاح سالم جودة- القضاء الطبيعي- رسالة دكتوراه جامعة القاهرة - 1997 ص 133. 40

أن المظالم سلطة قضائية أعلى من سلطة القاضي إذ ينظر من المنازعات ما لا ينظره القاضي فوالي المظالم وظيفته ممتزجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء⁽⁴¹⁾.

خاتمة:

يتمتع المتقاضي أمام ديوان المظالم بكافة الحقوق والضمانات التي يتمتع بها المتقاضي الذي يحاكم أمام القضاء العادي فوالي المظالم يطبق على الدعاوى التي كانت تعرض عليه أحكام الشريعة الإسلامية وكان المتقاضي يتمتع أمامه بكافة الحقوق والضمانات التي كفلتها الشريعة الإسلامية الغراء للمتقاضي.

وقل ربي زدني علماً

- د. عادل عبد العزيز حمزة - الطبيعة القانونية لحقوق الإنسان في القانون الدولي - رسالة دكتوراه جامعة عين شمس ص 402. 41

المراجع

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري - طبعة المطبعة البهية بمصر - 1356 هـ
3. أبو الحسن الماوردي - الأحكام السلطانية والولايات الدينية - طبعة 1386 هـ / 1966 م.
4. د. أحمد محمد مليجي - النظام القضائي الإسلامي - مكتبة وهبة - القاهرة - بدون تاريخ نشر.
5. د. حامد محمد أبو طالب - التنظيم القضائي الإسلامي - الطبعة الأولى - بدون دار ومكان نشر - 1982.
6. د. صلاح سالم جودة - القضاء الطبيعي - رسالة دكتوراه جامعة القاهرة - 1997.
7. د. عادل عبد العزيز حمزة - الطبيعة القانونية لحقوق الإنسان في القانون الدولي - رسالة دكتوراه - جامعة عين شمس.
8. د. عبد الحكيم حسين العيلي - الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام - دار الفكر العربي - القاهرة - 1974.
9. الشيخ محمد أبو زهرة - ولاية المظالم في الإسلام - بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الأولى للقانون والعلوم السياسية والتي عقدت بإشراف المجلس الأعلى لرعاية والفنون والآداب بالقاهرة من 23 : 27 أكتوبر 1960.
10. محمد الحبيب التجكاني - النظرية العامة للقضاء والإثبات في الشريعة الإسلامية - دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية) بغداد.

11. د. محمد أنس قاسم جعفر - ولاية المظالم في الإسلام وتطبيقها في المملكة العربية السعودية - دار النهضة العربية - القاهرة - بدون سنة نشر.
12. د. محمد سلام مذکور - القضاء في الإسلام - دار النهضة العربية - القاهرة - 1964م.
13. د. محمد سلام مذکور - المدخل للفقہ الإسلامي - دار النهضة العربية - القاهرة - 1964م.
14. المستشار الدكتور - محمد محمد شتا أبو سعد - مختصر كتاب الحكام السلطانية للماوردي - دار النهضة العربية 1993.
15. د. محمود عطية مشرفة - النظام القضائي في الإسلام - رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة - 1939.